

أعضاء البيان

@ 175 @ في هذه الآية الكريمة : أن من عمل عملاً يريد به الحياة الدنيا أعطاه جزاء

عمله في الدنيا ، وليس له في الآخرة إلا النار . .

ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الشورى : { وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ

الدُّرُودُ زُيَا زُؤُوتِهِ مَذْهَبًا وَمَا لَهُ فِي الْأَشْخَرَةِ مِنْ زَمِيمٍ { ولكنه تعالى

يبين في سورة بني إسرائيل تعليق ذلك على مشيئته جل وعلا بقوله : { مَّـنْ كَانِ يَـرِيدُ

الْعَاجِلَةَ عَجَلًا لِّذَلِكَ فِيهِمَا مَا زُشِّئَ لِمَنْ زُشِّئَ { وقد أوضحنا هذه

المسألة غاية الإيضاح في كتابنا (دفع إبهام الاضطراب عن آيات الكتاب) في الكلام على هذه

الآية الكريمة ، ولذلك اختصرناها هنا . قوله تعالى : { وَ مَن يَكْفُرْ بِهِ مِّنَ الْأَشْ

حُزَابٍ وَالنَّارُ مَوْءِدُهُ } . صرح تعالى في هذه الآية الكريمة : أن هذا القرآن لا

يكفر به أحد كائناً من كان إلا دخل النار . وهو صريح في عموم رسالة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم عليه

ووسلم إلى جميع الخلق . والآيات الدالة على ذلك كثيرة ، كقوله تعالى { وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا ۚ

هَذَاذَا الْقُرْءَانُ لَاسِي نَذْرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ { وَقوله : { تَبَارَكَ الَّذِي

نَزَّلَ الْفُورَ قَانَ عِلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا { ، وقوله : {

وَمَّا أَرْسَلْنَاكَ إِيلَآءَ كَأْفَّةٍ لِّلْمُنَاسِ { وَقَوْلُهُ : } قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ

النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } . قوله تعالى : { فَلَا تَكُ

فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِِنَّهُ الْحَقُّ مِّن رَّبِّكَ } . نهى الله جل وعلا في هذه الآية

الكريمة عن الشك في هذا القرآن العظيم ، وصرح أنه الحق من الله . والآيات الموضحة لهذا

المعنى كثيرة جداً كقوله { الم ذَالِكِ الْكِتَابُ لَأَ رَيْبَ فِيهِ } وقوله : { الم

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } ونحو ذلك من الآيات .

والمرية : الشك . قوله تعالى : { وَلاَ كُنْ مِنَ الْكَافِرِينَ } أَلَمْ تَرَ أَنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ . لاَ يَوْمُومِنُونَ } . صرح

تعالى في هذه الآية الكريمة بأن أكثر الناس لا يؤمنون ، وبين ذلك أيضا في مواضع كثيرة ،

كقوله { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } وقوله { وَإِنْ

تُطْعِمُ أَكْثَرَهُمْ مِّنَ الْإِنْسَانِ رِضًا بِضِلَالَتِهِمْ } ، وقوله : { وَلَقَدْ ضَلَّ

قَبِيلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِ وَاللَّيْنِ { ، وقوله : { إِنََّّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ

أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ } إلى غير ذلك من الآيات . ! 77 ! قوله تعالى : { يَضَاعَفُ

لَهُمْ الْعَذَابُ } . بين تعالى في هذه الآية الكريمة : أن الكفار الذين يصدون الناس

عن سبيل الله ويبلغونها عوجاً ، يضاعف لهم العذاب يوم القيامة ، لأنهم يعذبون على ضلالهم ،

ويعذبون أيضاً على إضلالهم غيرهم ، كما أوضحه تعالى بقوله : { الَّذِينَ كَفَرُوا
وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا
كَانُوا يُفْسِدُونَ } . .

وبين في موضع آخر . أن العذاب يضاعف للاتباع والمتبوعين ، وهو قوله في الأعراف { حَتَّى
إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَسْوَءِ مَا كَانُوا
فَاعِلِينَ أُولَئِكَ يَفْعَلُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا مُّهِينًا } الذّٰر قال ليكل
ضعف { . قوله تعالى : { مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا
يُبْصِرُونَ } . في هذه الآية الكريمة للعلماء أوجه ، بعضها يشهد له القرآن :

الأول وهو اختيار ابن جرير الطبري في تفسيره ، ونقله عن ابن عباس وقتادة : أن معنى {
مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ } أنهم لا يستطيعون أن يسمعوا الحق سماع منتفع ،
ولا أن يبصروه إبصار مهتد ، لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين عن استعمال جوارحهم
في طاعة الله تعالى ، وقد كانت لهم أسماع وأبصار . .

ويدل لهذا قوله تعالى : { وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً
فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِّنْ
شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ } . .

الثاني وهو أظهرها عندي : أن عدم الاستطاعة المذكور في الآية إنما هو للختم الذي ختم
الله على قلوبهم وأسماعهم ، والغشاوة التي جعل على أبصارهم . .

ويشهد لهذا القول قوله تعالى : { خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ
سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ } ، وقوله : { إِذَا جَعَلْنَا عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا } ونحو ذلك من الآيات
. .

وذلك الختم والأكنة على القلوب جزاء من الله تعالى لهم على مبادرتهم إلى الكفر